العلاقات السعودية التركية فرص التعاون وديناميات الصراع

ط.د عطوات عبد النور

كلية الحقوق والعلوم السياسية ،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة –الجزائر

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019-01-08	2019-06-26	2019-08-07

ملخص الدراسة:

تعتبر تركيا و السعودية من أهم ركائز النظام الإقليمي في الشرق الأوسط ، و ذلك لأهميتهما الإستراتيجية ، و نفوذهما في الإقليم ، هذا الأخير الذي يشهد أزمات ، و تحولات ولّدت رهانات أمنية مركبة على الوحدات في النظام الإقليمي ، وقد دفع تنامي هذه الرهانات ، و التمدد الإيراني في ظل الانسحاب الأمريكي ، العلاقات بين البلدين نحو التقارب المتسارع ، خاصة في الجانب الأمني ، من خلال التنسيق و التعاون ، تسعى الدراسة للبحث في طبيعة علاقات البلدين خاصة في جانبها الأمني ،و إلى أي مدي بإمكانه أن يمتد إلى مجالات أكثر ، لكن هذا الهدف يواجه عراقيل و تحديات عديدة ، نظرا لتعارض المصالح و العلاقات الإقليمية المعقدة ، في إقليم يشهد أزمات مزمنة .

الكلمات المفتاحية: السعودية - تركيا - الدور الإيراني - الانسحاب الأمريكي - الأزمة السورية- أمن الخليج .

Study Summary:

Turkey and Saudi Arabia are most important pillars in the Middle East regional system, for their strategic importance and their influence in the region. This latter is witnessing a crisis and a change resulting in complex menace upon regional units.

The growing of these menaces and the Iranian expansion concurrent with the American withdrawal pushed the relationship towards accelerated convergence especially in security side, through coordination and cooperation.

This study aims to delve into the two countries relations nature , especially security dimension , and to what extent it might extend to other more fields but this aim is confronted by obstacles and challenges due to the contending interests and complicated regional relationship in the region witnessing chronic crisis.
Keywords: Saudi Arabia -Turkey - The Iranian role - The American withdrawal - The Syrian crisis - Gulf security .

مقدمة:

يشهد الشرق الأوسط منذ بدايات 2011 انفجارا أمنيا بسبب مضاعفات الأزمات السابقة ، و تداعيات الأزمات الراهنة ، خاصة الأزمة السورية ، هذه المآزق الأمنية عجلت بأنهيار منظومة التوازنات القديمة ، لصالح تكتلات جديدة من أبرزها التقارب المتسارع في العلاقات التركية – السعودية ، في ظل الرهانات الأمنية المركبة .

عرفت العلاقات السعودية – التركية فتورا مع بدايات الربيع العربي ، مرده الاختلاف في إدراك الظاهرة و انعكاساتها على دول المنطقة ، هذه التداعيات فرضت على الوحدتين التقارب ، نظرا للتهديدات المتعاظمة في الإقليم ، مما ولد مصالح مشتركة ، و كذلك تهديدات مشتركة .

تسعى هذه الورقة للبحث في العلاقات التركية – السعودية ، و إلى أي مدى جعل من التقارب بين الدولتين ضرورة إستراتيجية ، فرضتها مقتضيات المرحلة الإقليمية ، كما تبحث في ديناميات الصراع والخلاف بين الدوليتين بشكل يؤدي إلى حدوث أزمة بينهما بعيد تورط المملكة في قتل الصحفي جمال خاشقجي على الأراضي التركية.

المبحث الأول: الإقليم المأزوم و الرهانات الأمنية المشتركة .

يقول هانس مورغانتوHans Morganto منظر المدرسة الواقعية الكلاسيكية في العلاقات الدولية ، أن اختيار دولة ما لطريق الأحلاف ليس مسألة ملائمة نفعية expendiency، فالدولة تستغني عن الأحلاف إذا اقتنعت بأنها من القوة بحيث يمكنها الصمود أمام أعداءها دون دعم أحد ، و أن أعباء الارتباطات الناجمة عن الأحلاف تفوق حسناتها المرتقبة .[1]

تتسارع وتيرة العلاقات الثنائية بين أنقرة و الرياض ، مدفوعة بالرهانات الناجمة عن المأزق الأمني المركب في الشرق الأوسط ، و ما نتج عنه من تهديد للوحدات الإقليمية ، سواء من الجانب العسكري أو البعد الاجتماعي ، نتيجة لتثوير التباينات العمودية ، فأفرزت البيئة الأمنية جملة مسوغات جعلت التقارب و التنسيق حتمية في ظل الانفجار الأمني من أبرزها :

أ/ رهانات التمدد الإيراني :

لعل من أهم الركائز الأساسية للتعاون الإقليمي بين السعودية و تركيا ، هو الخوف من إيران ، و الحاجة إلى تحقيق توازن لمواجهة الهيمنة الإيرانية المحتملة [2] ، في ظل محاولات طهران للتمدد في المنطقة ، و نفوذها في أربع عواصم عربية ، و ما رافق ذلك من تفهم أمريكي – غربي لنفوذ طهران ، و اعتبارها القوة النافذة ، خاصة بعد الاتفاق النووي الذي ترى فيه كل من أنقرة و الرياض ، اعترافا بالدور الإيراني على حساب مصالحها .

شهدت العلاقات السعودية الأمريكية تحديات كبيرة في السنوات الأخيرة ، مع تنامي النفوذ الإيراني ، بعد أكثر من عشر سنوات من احتلال العراق ، كذلك الحرب في سوريا ، مكنت هذه المتغيرات إيران من كسب تقدم في المنافسة حول الهيمنة الإقليمية ، و هو ما ترى فيه المملكة العربية السعودية تهديدا لها ، إذ كانت تأمل في أن تدفع علاقاتها الإستراتيجية مع الولايات المتحدة ، لضغط الأخيرة على إيران ، إلا أن هذا لم يحدث خاصة مع اتجاه الولايات المتحدة للاستقلال الطاقوي .[3]

حيث أدى تنامي النفوذ الإيراني إلى تنامي هواجس الخليجيين ، و دفعهم للتقارب مع تركيا ، لتكوين تحالف "سني" لمواجهة التمدد المذهبي لإيران ، يضاف لذلك رغبة تركيا بجذب الاستثمارات الخليجية ، و تأمين احتياجاتها النفطية ، في مقابل استفادة الخليجيين من الخبرات التركية العسكرية ، بما يقود إلى اضطلاع تركيا بدور في أمن منطقة الخليج ، فالتوازن الإقليمي الفاعل هو الصيغة المثلى لأمن منطقة الخليج .[4]

تشعر تركيا ذات الغالبية السنية بالقلق إزاء نمو النفوذ الإقليمي الإيراني ، إذ تعتبر الأخيرة غريمها التاريخي على النفوذ و المكانة في الشرق الأوسط ، و مع ذلك حافظ البلدان على علاقات مستقرة نسبيا ، إذ ظلت الحدود كما هي بينهما منذ 1639م ، و مع تولي حزب العدالة و التنمية السلطة في نوفمبر 2002 ، انتهجت تركيا سياسة العمق الاستراتيجي ، و التي ترتكز على ضرورة تعميق العلاقات مع دول الشرق و العالم الإسلامي ، بناء عليه زاد التعاون مع إيران من خلال الدبلوماسية الاقتصادية .[5]

ب/ الانسحاب الأمريكي و الانكشاف الإستراتيجي:

تشهد الإستراتيجية الأمريكية تحولا إلى مناطق جيوبوليتيكية تساعد و تخدم إستراتيجية أمريكا الجديدة ، في وجه تصاعد قوى عظمى ، تحاول أمريكا أن تستبق مواقع النفوذ الجديدة لها قبل أن تمتد إليها يد القوى الأخرى ، و هذا ما يؤكده وصف وزيرة الخارجية الأمريكية سابقا هيلاري كلينتون بأن " رؤية الإدارة الأمريكية الجديدة ، تكمن في أن القرن الحادي و العشرين ، هو قرن منطقة المحيط الهادي ، و جنوب شرق آسيا "، و أعلن في نوفمبر 2011 عن مبادرة الشراكة عبر المحيط الهادي Trans – pacificpartnership .[6]

أدى هذا الانسحاب التدريجي من الشرق الأوسط ،و تراجع أهـمية الأخير في الأولوية الإستراتيجية للولايات المتحدة ، بدول المنطقة و على رأسها السعودية إلى البحث عن بدائل إستراتيجية ، خاصة بعد إبداء الولايات المتحدة رغبتها بشكل واضح ، التخلي عن مواجهة التمدد الإيراني بعد الاتفاق النووي ، و ترك هذا الدور لدول المنطقة ، مثل ما أكـــد الرئيس الأمريكي باراك أوباما لقادة دول الخليج ، خـــلال لقاء كامب ديفيد في مايو 2015 .[7] رغم الصعوبات التي تواجه علاقة تركيا بالولايات المتحدة ،و دول حلف شمال الأطلسي ، بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة في جويلية 2016 ، إلا أن تركيا تظل القوة الإقليمية الرئيسية التي تجمعها خصائص و روابط مشتركة مع الغرب ،و هو ما يميزها عن باقي القوى الإقليمية الفاعلة ، مثل مصر و السعودية و إيران .[8]

تسعى كل من أنقرة و الرياض لاستباق مرحلة ما بعد الاتفاق النووي ،و أيضا الانسحاب الأمريكي لملأ الفراغ الإستراتيجي ،و لعب دور أكبر في التوازنات الإقليمية ، كما ترغب السعودية في زيادة التعاون مع تركيا ،إذ ترى بأنه دون التعاون مع تركيا ،التي لها في الوقت الحاضر تأثير على حسابات القوى العالمية ، و كذلك تتمتع بشعبية في الشوارع العربية ، من الصعب التغلب في التنافس الإقليمي مع إيران .[9]

يدعم هذا الطرح تصريحات أوباما في حواره مع جيفري غولدبرغ JeffreyGoldberg، و الذي نشرته مجلة The Atlanticحيث قال " أن على السعوديين أن يشاركوا الشرق الأوسط مع أعداءهم الإيرانيين " ، مضيفا " أن المنافسة بين السعوديين ، و الإيرانيين و التي غذت حروبا بالوكالة ، و فوضى بسوريا و العراق و اليمن ، تتطلب أن نقول لأصدقائنا، كما للإيرانيين ، أن عليهم إيجاد طريقة فعالة للمشاركة في المنطقة ، و لفرض نوع من السلام البارد " .[10]

تابع باراك أوباما مضيفا " أن نقول لأصدقائنا أنتم على حق ، إيران هي مصدر كل المشاكل و سندعمكم في التعاطي مع إيران ، فهذا يعني أن تستمر الصراعات الطائفية ، و أن حلفاءنا الخليجيين ، أي أصدقاءنا التقليديين ، لا مقدرة لديهم على إطفاء النار ، أو الفوز بحسم وحدهم ، ما يعني أنه سيكون علينا التدخل ، و نستخدم قوتنا العسكرية لتسوية الحسابات ، و هذا لن يكون في مصلحة الولايات المتحدة ، و لا الشرق الأوسط .[11]

ج/ التغير في القيادة السعودية و الاستقرار في القيادة التركية :

شهدت العلاقات الثنائية تحسنا متسارعا ، منذ حضور الرئيس رجب طيب أردوغان جنازة الملك عبد الله بن عبد العزيز ، حيث برز على إثرها التنسيق السعودي – التركي في مختلف القضايا المشتركة ، و تبادل الزيارات بين قادة البلدين ، و كذلك على مستوى الوزراء بشكل لافت .

حسب مجلة فورين بوليسي يضع الملك سلمان العلاقات مع أنقرة في مقدمة أولوياته ، خاصة و أن من شأن هذه العلاقات أن تكون مؤثرة في قضايا مهمة للمملكة في دول عديدة ، و الملاحظ أن التغيرات التي شهدتها السعودية في هرم السلطة ، تدفع باتجاه حدوث تغيرات في السياسة الخارجية السعودية ، و تفتح صفحة جديدة في العلاقات التركية [12] ، فلا يخفى أن انتقال الحكم في العربية السعودية ، تزامن مع تغير ملحوظ في أولوياتها من محاربة الإسلاميين ، إلى إعطاء الأولوية المطلقة لمجابهة التمدد الإيراني .[13]

د/ انحسار زخم الربيع العربي :

على إثر تأزم الوضع الأمني ، و انحسار زخم الثورات العربية التي فجرت خلافات بين أنقرة و الرياض ، خاصة و أن الأخيرة على غرار باقي دول الخليج ، كانت ترى في الموجات الثورية مهددا لها ، مما جعلها تتزعم جبهة الثورة المضادة ، لكن انحسار الربيع العربي ، و تحوله إلى أزمات أمنية ، و صراع إقليمي ساهم في تقريب وجهات النظر بين الطرفين ، و مما عمق من التعاون تقاسم الدولتين لرؤية مشتركة حيال الأزمة السورية، و سعي الطرفين للإطاحة بالنظام السوري .

ه/ غياب الاستقطاب التركي – الخليجي :

العلاقات التركية – الخليجية عموما ، و السعودية خصوصا ، يدعمها إلى جانب الاعتبارات الإستراتيجية العسكرية ، كون تركيا بعيدة عن أي استقطاب ، أو صراع ذي طبيعة طائفية ، أو قومية ، أو عرقية مع دول الخليج ، مما يعني غياب أي مهددات سلبية مع دول الخليج ، الأمر الذي يجعل أنقرة حليفا موثوقا في حال أي تطوير للعلاقات إلى تحالف استراتيجي مع قياداتها السياسية .[14]

هذه جملة مسوغات ساهمت في دفع العلاقات التركية – السعودية ، و تفعيلها في ظل التحولات الإقليمية المتسارعة ، و ما نجم عنها من رهانات .

2/ مجلس التعاون الإستراتيجي: الانتقال من التقارب إلى تنسيق السياسات.

عرفت العلاقات التركية الخليجية عموما بعض مراحل التقارب ، و التي شهدت بعض الاتفاقيات للتعاون متعدد الأبعاد ، حيث وقعت في 30 ماي 2005 الاتفاقية الإطارية للتعاون الاقتصادي ، تلاها في 08 سبتمبر 2008 في جدة توقيع مذكرة تفاهم للشراكة الإستراتيجية بين تركيا و دول مجلس التعاون الخليجي [15]، و قد نمت التبادلات التجارية بين تركيا و دول الخليج من 1.5 مليار دولار سنة 2000 إلى 14.9 مليار دولار في 2011[16].

الجدول 01 : الاتفاقيات الأمنية بين تركيا و دول مجلس التعاون

الدولة	الاتفاقية	مكان و تاريخ التوقيع
البحرين	الإرهاب و المخدرات و الجريمة المنظمة	المنامة 06 مارس 2006
السعودية	الإرهاب و المخدرات و الجريمة المنظمة	الرياض 12 فبراير 2005
	تبادل المعلومات حول تمويل الإرهاب و غسيل الأموال	جنوب إفريقيا 04 يوليو 2013
قطر	الإرهاب و المخدرات و الجريمة المنظمة	أنقرة 25 ديسمبر 2001
الكويت	الإرهاب و المخدرات و الجريمة المنظمة	اسطنبول 19 يوليو 2005

المصدر : فؤاد فرحاوي ، التعاون الإستراتيجية التركي – الخليجي المظاهر و الأبعاد . مجلة آراء حول الخليج ، العدد 105 ، مؤسسة المدينة للطباعة و النشر ، المملكة العربية السعودية ، مارس 2016 ، ص 08.

أما على المستوى الثنائي ، فوقعت تركيا مع السعودية في مايو 2010 اتفاق تعاون عسكري في مجالات التدريب و الأبحاث العسكرية ، و في مايو 2013 وقعت الدولتان اتفاقية للتعاون الصناعي الدفاعي ، و في 22 نوفمبر 2015 وقع الطرفان اتفاقية تعاون في مجال التقنية الصناعية ، بهدف إقامة المشاريع البحثية ، و الصناعية المشتركة .[17]

في ذات السياق صرح كبير مستشاري الرئيس التركي ، أن تركيا دخلت سوق الأسلحة السعودية ، بعدما وقعت اتفاقية عبر شركة أسلسان التركية للصناعات الدفاعية ، مع المملكة ممثلة في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم و التقنية ، حيث أكد رئيس مدينة الملك عبد العزيز الأمير تركي بن سعود ، أن هذه المذكرة هي بداية لشراكة إستراتيجية مهمة ، و لا يعتبر هذا الاتفاق هو الأول ، إذ أن للطرفين اتفاقيات سابقة لتوريد الأسلحة في إطار الإستراتيجية السعودية الأخيرة لتنويع مصادر الأسلحة .[18]

و قد كانت أبرز الاتفاقيات الإستراتيجية ،هي تلك التي وقعتها تركيا مع كل من قطر و السعودية ، و إن أخذت صيغا مختلفة ، ففي مارس 2015 ، تم توقيع اتفاق عسكري بين قطر و تركيا حول إنشاء قاعدة عسكرية تركية في قطر ، قوامها 3000 جندي تركي ، إضافة إلى التعاون في الصناعات الدفاعية (*)، هذا التحالف الإستراتيجي رحبت به السعودية ، و اعتبرت أنه يساهم في مواجهة النفوذ الإيراني ، حيث ترى الرياض أن الوجود العسكري التركي يزيد في الإمكانات الدفاعية في منطقة الخليج ، هذا الترحيب السعودي كان على عكس الموقف الإماراتي ، إذ لم ترحب الأخيرة بهذا التحالف ، و اعتبرت أنه يهدف لتقوية جماعة الإخوان المسلمين ، التي تصنفها كجماعة إرهابية .[19]

كان التأييد السعودي للاتفاق القطري – التركي ، تمهيدا للإعلان عن تأسيس مجلس الشراكة الإستراتيجي السعودي - التركي ،و ذلك أثناء زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان للرياض في ديسمبر 2015 ، و قد صرح وزير الخارجية السعودي عادل الجبير أثناء الإعلان عن المجلس ، " أنه سيكون مهتما بأمور عديدة بما فيها الأمور الأمنية ،و العسكرية ، و السياسية ، و الاقتصادية ، و التجارية ، و الاستثمارية ، و الطاقوية ...و غيرها " ،[20] يعتبر الإعلان عن هذا التحالف نتيجة طبيعية للتقارب المتسارع ، و التنسيق السياسي ، و الأمني بين البلدين ، في ظل الهواجس الأمنية المشتركة.

يأتي هذا التقارب التركي الخليجي عموما ، و السعودي خصوصا ، منسجما مع تصور تركيا لأمن الخليج ، و المستند على جملة ركائز من بينها :[21]

- أمن الخليج هو شأن دولها وحدها ، و من حقها اتخاذ التدابير و الترتيبات التي تراها ملائمة ، لتحقيق الأمن و الاستقرار و السلام في المنطقة .
- إذا كان لا بد من الترتيبات الأمنية في المنطقة ، فيمكن أن تتخذ شكلا دفاعيا ثنائيا مع دول المنطقة .
- المدخل الرئيسي لترتيبات الأمن يتطلب توسيع نطاق التعاون الاقتصادي بين دول المنطقة .

شهد الشرق الأوسط تنسيقا تركيا – سعوديا في الكثير من الأزمات ، خاصة الأزمتين اليمنية و السورية ، و كان من بين أبرز ملامح التنسيق الأمني المتنامي بين الدولتين ، إبلاغ السعودية لتركيا بعملية عاصفة الحزم قبل التنفيذ ، و مناقشة الملك سلمان بن عبد العزيز للتطورات مع الرئيس رجب طيب أردوغان هاتفيا ، دعمت تركيا عملية عاصفة الحزم التي تقودها السعودية منذ 26 مارس 2015 ، مبررة هذا الدعم بأن الحوثيين رفضوا جميع الاتفاقيات التي جرى التوصل إليها في اليمن ، بما فيها قرارات مجلس الأمن، و قاموا بتحركات عسكرية ، شكلت تهديدا على أمن و استقرار السلم الدولي.[22]

في ذات السياق صرح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان " أن على إيران أن تغير وجهة نظرها ، و عليها أن تسحب كل قواتها من اليمن و سوريا و العراق ، و عليها أن تحترم سيادة تلك الأراضي ، يأتي هذا الموقف التركي في ظل الاستياء المتنامي من الإستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط ، حيث عمدت طهران ، و نتيجة لعزلتها إلى التحرك عبر الفواعل ما دون الدولة (the non – state actors) ، كالجماعات و الأحزاب و التنظيمات ، بوصفها أداة بديلة لأدوات النظام الدولي ، بهدف التأثير في سلوك الدول ، سواء في العراق أو لبنان ، و أيضا في منطقة الخليج .[23]

جاء الموقف التركي الداعم لعاصفة الحزم ، مدفوعا بمحاولة استثمار لحظة التحالف ، الذي تأمل منه تركيا لعب دور الموازن الإقليمي ، في محاولتها لإعادة التوازن المفقود في العلاقات التركية – الإيرانية ، خاصة بعد تراجع العلاقة مع الغرب ، و خصوصا الولايات المتحدة بعد الاتفاق النووي ، و الذي يعني تهميش الدور التركي مقابل تمدد الدور الإيراني.[24]

شددت تركيا على عدم إمكانية المشاركة في عملية عاصفة الحزم ، إلا أنها أعلنت استعدادها لتقديم الدعم اللوجستي و السياسي [25] ، كما ألمحت تركيا إلى استعدادها للقيام بدور الوسيط مع السعودية ، باتجاه إيجاد مخرج للأزمة في اليمن ، و التوصل إلى تسوية سياسية ، الأمر الذي يدل على حرص أنقرة على أن يكون لها دور في إعادة صياغة معادلات التوازن في المنطقة .[26]

عرفت الأزمة السورية كذلك تنسيقا تركيا– سعوديا حيث انضمت تركيا للتحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب ،الذي أعلن عنه ولي ولي العهد السعودي وزير الدفاع في الرياض، بمشاركة العديد من الدول الإسلامية أبرزها تركيا و مصر و باكستان، كما احتضنت قاعدة انجرليك التركية مقاتلات سعودية في إطار هذا التحالف ،و قبله شهدت الأزمة السورية تنسيقا تركيا– سعوديا من خلال دعم بعض فصائل المعارضة على الأرض، و كذلك دعم المعارضة السياسية في الخارج .

3/ كوابح التحالف : تحديات العلاقات التركية – السعودية في ظل تعقيدات البيئة الإقليمية .

يقول ثيوكيدايدس " **وحدة المصلحة هي الرباط الأكثر قوة سواء بين الدول أو الأفراد** " ، لكن ينبغي أن لا يغرب عن البال أنه ليس كل مجموعات المصالح المشتركة ، التي تفرض سياسات و تصرفات متناسقة أو متطابقة ، تستدعي التقنين في تحالفات صريحة .[27]

بناء عليه فرغم التقارب المتسارع ، و التنسيق الواضح بين كل من أنقرة و الرياض في أزمات الشرق الأوسط ، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود خلافات بين الطرفين ، أو تعارض في بعض الرؤى و المصالح الإقليمية ، مما يمكن أن يكبح تطور العلاقات ، و امتدادها إلى جوانب أخرى ، غير البعد الأمني ، أو يجعلها أسيرة الأوضاع الراهنة، التي فرضت مصالح آنية مشتركة .

الأحلاف العامة عادة مؤقتة ، و معظمها يسود وقت الحرب ، لان المصلحة المشتركة التي تمثلت بالسعي للانتصار ، و ضمان المصالح عن طريق تسويات السلام التالية للحرب ، من شأنها أن تفسح المجال بمجرد انتهاء المعارك للمصالح الفردية المتعارضة للدول الحليفة سابقا ، و من جهة أخرى فهناك تلازم بين ديمومة الحلف و الإطار المحدود للمصالح التي قام عليها ، إذ كلما تحددت هذه المصالح و ضاق نطاقها ، كلما كانت فرص استمرار التحالف أكبر .[28]

أ/اختلاف وجهات النظر حول الأزمتين المصرية والليبية:

تختلف الرؤية السعودية التركية حول بعض الملفات العالقة في الشرق الأوسط و العالم العربي ، أبرزها الحالة المصرية ، حيث دعمت تركيا تحالف دعم الشرعية في مصر ، بينما وقفت المملكة ، و أغلب دول الخليج إلى جانب الانقلاب العسكري ، و قد لا يختلف المشهد الليبي عن المصري ، مع فارق حساسية الملف المصري لدى الطرفين .[29]

مع تصاعد مظاهر التصور الإيجابي في العلاقات السعودية التركية ، خصوصا بعد الإعلان عن تأسيس مجلس التعاون الإستراتيجي المشترك ، عملت المملكة على توظيف علاقاتها الإستراتيجية مع الجانبين المصري و التركي ، لتجسير هوة الخلاف وفق الرؤية السعودية ، ما قد يفضي من ناحية أخرى إلى إزالة العوائق التي يمكن أن تعترض عمل التحالف "الإسلامي" الذي كانت قد أعلنت عن تأسيسه ، و الذي يشمل بين أقطابه كلا من الدولتين .[30]

كلما سعت السعودية إلى التخفيف من حدة التوتر في العلاقات التركية المصرية ، كلما اصطدمت بضغط الإمارات ، و رفضها بل و سعيها في المقابل لإصلاح العلاقات المصرية – الإيرانية ، حيث بات واضحا أن أي تقدم في العلاقات المصرية – الإيرانية يعد خصما من رصيد العلاقات المصرية – السعودية ، و نفس الحال مع الإمارات في حال تقدم العلاقات المصرية – التركية .[31]

وجود فريقين في الحكم ، و ارتفاع فرص بقاءهما لفترة طويلة نسبيا في الحكم ، تبرز حاجة كل منهما للتعامل مع الآخر ، لكن من غير المرجح نشأة تحالف استراتيجي بينهما ، و إنما اقتصار التعاون على الملفات موضع تلاقي وجهات النظر ، و إتباع نهج تعاون يمكن تسميته حالة بحالة case by case فيما يخص هذه الملفات .[32]

فلتركيا أولوياتها المختلفة في صراعات الشرق الأوسط ،إذ تعتبر مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية و حزب العمال الكردستاني أولوية ، بينما لا تشكل مواجهة الأكراد هاجسا سعوديا ، و بالتالي يمكن للبلدين التنسيق في مسألة التعاطي مع الأكراد ، و النفوذ الإيراني ، بصورة تضمن قدرا مهما من التوافق ، باعتبار أن لا موقفا سعوديا صلبا تجاه الأكراد ، و لا يوجد موقف تركي صلب ضد الإيرانيين ، إلا أن أنقرة تتقاسم مع الرياض ، النظرة الرافضة للوجود الإيراني في سوريا و العراق ، و تراها من عوامل الفوضى في الشرق الأوسط .[33]

و مما يمكن أن يعرقل السياسة الإقليمية التركية تجاه الخليج عموما ، و يمكن أن يكون له انعكاسات سلبية على علاقاتها بالسعودية، إدراك بعض القوى الإقليمية و العربية ، أن تمدد الدور التركي سيكون على حساب مكانتها ، و موقعها في لعبة النفوذ [34] ، من أبرز هذه الدول الإمارات ، التي لها علاقات متوترة مع تركيا على خلفية دعم تركيا للمعارضة المصرية ، و اتهام الأخيرة للإمارات بدعم حزب العمال الكردستاني ، و هذا يعني أن أي تقدم في العلاقات السعودية التركية غالبا سينال من العلاقات مع الإمارات ، و يؤثر سلبا على التحالف الذي تقوده السعودية .

في ذات السياق صرح السفير الإماراتي يوسف العتيبة ، بمحاضرة ألقاها في مركز الدراسات الإستراتيجية و الدولية الأمريكي بعنوان " برنامج عمل إيجابي للشرق الأوسط حول الدولة الإسلامية و إيران " ، في 2016/01/31 ، أن الأتراك يضعون الأكراد أولوية ، بصورة أكبر بكثير من ملاحقة تنظيم الدولة ، لذلك و حتى حل هذه القضية ، لا أعرف كيف يمكننا التوصل إلى إجماع بشأن هذا التحالف.[35]

ب/العلاقة مع إيران

تبرز العلاقات الاقتصادية المتشابكة بين تركيا و إيران ، كأحد أبرز العوائق أمام أي تقدم مؤثر في العلاقات السعودية – التركية ، خاصة و أن العلاقات الاقتصادية للأخيرين لم ترق بعد إلى مستوى التنسيق الأمني ، و لم تستطع السعودية بعد أن تمثل البديل الطاقوي و الاستثماري عن إيران .

تعتمد تركيا بشكل رئيسي على إيران في تلبية احتياجاتها الطاقوية ، و هو ما تسبب في اختلال الميزان التجاري ، و الذي تحاول تركيا تصحيحه من خلال زيادة الصادرات لإيران ، ففي 2012 استوردت تركيا 39% من إمدادات النفط ،و 19% من الغاز من إيران، و حسب معهد الإحصاء التركي ، بلغت قيمة الصادرات التركية لإيران 3.9 مليار دولار عام 2014 ، في حين ارتفعت الواردات التركية منها في نفس السنة لتبلغ 9.8 مليار دولار ، في حين انخفض حجم إجمالي التجارة الثنائية من 22 مليار دولار سنة 2012 ، إلى 13.7 مليار دولار في 2014، و في ظل رفع العقوبات الغربية عن إيران ، بدأت تظهر سوق للمستثمرين الأتراك تفوق قيمتها 90 مليار دولار .[36]

ج/الموقف التركي من الأزمة الخليجية

ترتبط تركيا بعلاقة وثيقة مع قطر في عدة مجالات منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم وتعززت أكثر مع تولي الأمير الشاب تميم بن حمد لزمام الإمارة خلفا لوالده حمد آل ثاني, وتتضح ملامح التعاون والتنسيق في حجم التبادل التجاري والعسكري بين البلدين والرؤية المشتركة لملفات الشرق الأوسط كالقضية الفلسطينية والصراع في سوريا واليمن ومصر وليبيا حيث تظهر قطر دعمها للإسلاميين ولاسيما حركة الإخوان المسلمين بعد أحداث الربيع العربي وهو ما يتوافق مع الرؤية التركية لهذه الأحداث, هذا ما جعل السعودية والإمارات والبحرين تعلن وقف التعامل مع قطر وفرض حصار جوي وبري عليها منذ جوان 2017 واعتبرت السعودية أن قطر قد شقت الصف الخليجي وارتمت في الحضن التركي والإيراني إلا أن تركيا رفضت سياسات الدول الخليجية وأعلنت تضامنها مع قطر اقتصاديا وسياسيا وهو ما جعل العلاقات السعودية التركية تترنح .

كما تبرز عراقيل ضمن البيئة الداخلية التركية ، بإمكانها أن تمثل تحدي مستقبلي أمام أي تفعيل أكبر للعلاقات الثنائية ، و محاولة التقدم بها لمراحل مهمة ، إذ يوجد في تركيا تيار معتبر ينظر إلى العلاقة مع العالم الإسلامي بريبة ، و يرى أن مجال تركيا هو أوربا ، و ليس الشرق الأوسط .[37]

إن تأييد تركيا للسعودية ، و تنسيق الأخيرة مع أنقرة لهو بمثابة قبول من البلدين بالمكانة الإقليمية للآخر ، و تأجيل الصراع على زعامة العالم السني ، و ذلك بدلا من تبديد الجهود في المناكفات الإقليمية ، خاصة في ظل وجود تهديد مشترك ، يتمثل في تنامي النفوذ الإيراني [38] ، إذ يلاحظ أنه لا يوجد مبدأ حاكم ينطلق منه التعاون ، و إنما هناك مصالح آنية ، فلا يوجد تبني مقاربة عامة تشمل جميع الملفات ، إذ يقتصر التعاون على حالات الالتقاء في المصالح الآنية ، و ليس المصالح الإستراتيجية ، لذلك من المرجح أن يكون التعاون في الملفات فرديا ، و مرتبط بحالة إدارة الأزمات ، أكثر من كونه تعاونا يشمل مجموعة ملفات بشكل يعالج جذور الأزمات [39].

4/ مستقبل العلاقة التركية السعودية بعد مقتل الصحفي جمال خاشقجي:

أثار مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي داخل القنصلية السعودية باسطنبول من طرف فريق اغتيال جاء من السعودية خصيصا لهذه العملية موجة غضب واستنكار واسعين من طرف المجتمع الدولي والإعلام العالمي الذين اتهموا السلطات السعودية بتدبير هذه العملية ولكن السلطات السعودية نفت في علمها

بتفاصيل الحادثة وبرأت نفسها من مسؤولية مقتل خاشقجي, وأمام هذا الموقف الصعب قامت تركيا بجميع حزمة من الدلائل التي تدين المملكة وبالفعل وتحت الضغوطات الهائلة اعترفت السعودية بتدبير عملية الاغتيال لكنها لم تعترف بمسؤولية السلطات العليا في البلد ممثلة في ولي العهد محمد بن سلمان هذا الأخير الذي تتهمه أطراف أنه أعطى الأوامر بقتل خاشقجي.

أكدت اغتيال خاشقجي هشاشة العلاقات التركية السعودية رغم وجود بعض المؤشرات على التعاون في بعض المجالات ورغم تأكيد قيادة البلدين أن هذه القضية لن تؤثر على علاقة البلدين مستقبلا لكن هذا اعتبره الكثير من المراقبين لا يعبر عن مكنون العلاقة الحقيقية بينهما بسبب الموقف التركي من قضايا تعتبرها السعودية تهديدا لأمنها القومي كالعلاقة بين تركيا وجماعة الإخوان المسلمين المصنفة كمنظمة إرهابية من طرف النظام السعودي, في حين اعتبر آخرون أن تدبير اغتيال خاشقجي في الأراضي التركية هو محاولة لتوريط تركيا وإحراجها أمام المجتمع الدولي ولهذا فالسعودية مطالبة بالإجابة عن السؤال لماذا تم هذا في الأراضي التركية تحديدا؟

وأمام هذا الواقع الجديد بين البلدين فان مستقبل العلاقة التركية السعودية يبدو أنه يتجه إلى الهشاشة أكثر فأكثر خاصة في ظل وجود القيادتين الحاليتين المتناقضتين ايدولوجيا وفكريا وفي ظل البحث عن زعامة العالم الإسلامي.

الخاتمة:

- العلاقات السعودية - التركية رغم الفتور الذي طبعها بعد الربيع العربي ، إلا أنها حافظت على مستوى من التنسيق ، مكن من البناء عليه في تطوير و دفع العلاقات .
- المعضلة الأمنية الناجمة عن الأزمات المزمنة في الشرق الأوسط ، و التمدد الإيراني من خلال الفواعل ما دون الدولة ، و تراجع زخم الربيع العربي ، و ما نجم عنه من تهديدات أمنية مركبة ، ولّد مصالح مشتركة لكلا الطرفين أهمها الأمن ، و مواجهة المشروع الإيراني .

- الانسحاب الأمريكي من الشرق الأوسط ، و تداعيات الاتفاق النووي الإيراني مع الغرب ، جعل المملكة في حالة انكشاف ، دفعها للبحث عن تحالفات ، بإمكأنها أن تمثل البديل الإستراتيجي .
- مجلس التعاون الإستراتيجي التركي – السعودي نتيجة للتنسيق و التقارب المتسارع بين البلدين ،و يعتبر مرحلة متقدمة من الاتفاقيات الثنائية ، و خطوة مهمة لتنسيق السياسات ، و تفعيل التعاون ، و مده لأبعاد أوسع من المجال الأمني العسكري .
- عقبات كثيرة تحول أمام تطوير التعاون الثنائي بين الوحدتين إلى تحالف استراتيجي ، خاصة في ظل تعقيدات البيئة الإقليمية ، و المصالح المتناقضة لكلا الطرفين ، و التنافس المؤجل بسبب التهديدات المشتركة . والازمة الخليجية ومقتل الصحفي جمال خاشقجي.
- اقتصار التعاون على الجانب الأمني ، و ضعف البعد الاقتصاديقد يجعل التقارب رهين المصالح المؤقتة .

قائمة المراجع:

[1]- محمد عزيز شكري ، الأحلاف و التكتلات في السياسة العالمية . سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 ، ص 12.

[2]- محي الدين آتمان ، العلاقات التركية – السعودية خلال الربيع العربي : نحو شراكة إستراتيجية . مجلة رؤية تركية ، العدد 4 ،مؤسسة ستا ، تركيا ، شتاء 2012.

[3]-jennings r briek , turkey and saudiarabia : a comparative arab spring , the site : https://www.sandiego.edu/cas/documents/ma-international-relations/BrieckPOLS596paper.pdf

[4]- ظافر محمد العجمي ، الدور العسكري التركي في العراق و سوريا : تقارب أم تباعد مع دول الخليج . مجلة آراء حول الخليج ، العدد 105 ، مؤسسة المدينة للطباعة و النشر ، المملكة العربية السعودية ، مارس 2016 ، ص 33.

[5]- ÖmerTaşpınar , turkey and arab gulf states : a dance with uncertain expectations , the arab gulf states institute , washington , 2015 , p4.

[6]- عصام فاعور ملكاوي ، تركيا و الخيارات الإستراتيجية المتاحة ، ملتقى الرؤى المستقبلية العربية و الشركات الدولية ، كلية العلوم الإستراتيجية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، و الرابطة العربية للدراسات المستقبلية ، الخرطوم ، 3-5 /2013/02 ، ص 07.

[7]- بدر الراشد ، مجلس التعاون الإستراتيجي التركي – السعودي ... هل تكفي سوريا لتعميق العلاقات ؟. تاريخ الإطلاع : 2016/03/25 ، متوفر على الرابط التالي : http://www.alaraby.co.uk/politics/2015/12/30

[8]- Jimzanotti and Clayton Thomas , turkey : background and U.S relations in brief , congressional research service , august 26 , 2016 , p 12.

[9]- محمد آتمان ، المرجع السابق .

[10] -JefferyGoldberg , the Obama doctrine , the us president talks through his hardest decisions about America's role in the world , the site : http://www.theatlantic.com/magazine/archive/2016/04/the-obama-doctrine/471525/

[11] -ibid.

[12]- تقارب تركي سعودي : هل تسترجع إيران حدودها من سورية! . تاريخ الإطلاع : 2016/03/20 ، متوفر على الرابط التالي : http://www.orient-news.net/ar/news_show/85539

[13]- مركز صناعة الفكر للدراسات ، العلاقات السعودية التركية .. الواقع و المستقبل . تاريخ الإطلاع : 2016/03/26 ، متوفر على الرابط التالي : www.fiker**center**.com/ar/p/news/view/5537f36adf1e7.

[14]- موقع الخليج العربي للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، زيارة مرتقبة للملك سلمان إلى أنقرة مغازلة سعودية لتركيا لمجابهة المحور الإيراني .تاريخ الإطلاع : 2016/03/20 ، متوفر على الرابط : http://gulfstudies.info/ar/words-center/

[15]- سامية بيبرس ، الحوار الإستراتيجي التركي – الخليجي و مستقبل أمن منطقة الخليج . مجلة شؤون عربية ، العدد 162 ، القاهرة ، صيف 2015، ص 160 .

[16]-ÖmerTaşpınar, op , cit , p4.

[17]- محمد مجاهد الزيات ، العلاقات العسكرية الخليجية – التركية في ظل علاقات أنقرة الدولية . مجلة آراء حول الخليج ، العدد 105 ، مؤسسة المدينة للطباعة و النشر ، المملكة العربية السعودية ، مارس 2016 ، ص20.

[18]- هيا السهلي ، اتفاقية السلاح التركية – السعودية خطوة لتحسين العلاقات . تاريخ الإطلاع : 2016/03/25 ، متوفر على الرابط التالي : http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/7/21

* يمكن الإطلاع على نص الاتفاقية (**Turkey Qatar Defense Industry Cooperation**) على الرابط التالي

http://www.middleeasteye.net/sites/default/files/images/Turkey%20Qatar%20Defense%20Industry%20Cooperation.pdf

[19] -PaulCochrane , revealed: secret details of turkey's new military with qatar , the site : http://www.middleeasteye.net/news/turkey-qatar-military-agreement-940298365

[20]- بوعلام غبشي ، هل ينجح مجلس التعاون السعودي – التركي في التصدي لمحاولات التوسع الإيراني ؟ ،تاريخ الإطلاع : 2016/03/30 ، متوفر على الرابط التالي : -http://www.france24.com/ar/2015/12/30

[21]- سعد حقي توفيق ، السياسة الإقليمية التركية تجاه الخليج العربي 2002-2008. مجلة العلوم السياسية ، العددان 38 و 39 ، جامعة بغداد ، ص 166.

[22]- محمد سمير الرنتيسي ، عاصفة الحزم : حدود التنافس التركي – الإيراني ، تاريخ الإطلاع : 2016/03/20، متوفر على الرابط التالي : http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/04

[23]- منصور المرزوقي ، العلاقات السعودية – التركية : تحول بنية التحالفات الإقليمية . تاريخ الإطلاع : 2016/03/20 ، متوفر على الرابط التالي : http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/03/

[24]- سعيد الحاج ، موقع تركيا في المحاور الإقليمية ما بعد عاصفة الحزم . تاريخ الإطلاع : 2016/03/24 ، متوفر على الرابط التالي : http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/4/9

[25]- محمود سمير الرنتيسي ، المرجع السابق .

[26]- سامية بيبرس ، المرجع السابق، ص 170.

[27]- محمد عزيز شكري ، المرجع السابق ، ص 12.

[28]- نفس المرجع ، ص 16.

[29]- مركز صناعة الفكر للدراسات ، المرجع السابق .

[30]- محمد عبد القادر خليل ، مصر و السعودية و تركيا و مثلثات القوى الإقليمية . تاريخ الإطلاع : 2016/03/23 ، متوفر على الرابط التالي : http://acpss.ahram.org.eg/Review.aspx?Serial=10271

[31]- عبد الناصر سلامة ، مطرقة الإمارات و سندان السعودية . تاريخ الإطلاع : 2016/03/23 متوفر على الرابط التالي : http://www.almasryalyoum.com/news/

[32]- منصور المرزوقي ، المرجع السابق.

[33]- بدر الراشد ، المرجع السابق.

[34]- سعد حقي توفيق ، المرجع السابق ، ص 167.

[35]- موقع شؤون إماراتية ، يوسف العتيبة : تركيا تهتم بشأن الأكراد أكثر من داعش ،تاريخ الإطلاع، متوفر على الرابط http://emirati-affairs.com/news/view/489:

[36]- ÖmerTaşpınar , op cit ,p 5.

[37]- سعد حقي توفيق ، المرجع السابق ، ص 167.

[38]- محمود سمير الرنتيسي ، المرجع السابق .

[39]- منصور المرزوقي ، المرجع السابق .